

روح المعاني

وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن أخت عبد الله بن السلام ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل آمنوا بالله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا : لانفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل : لمؤمنى أهل الكتابين وروى ذلك عن الضحاك وقيل : للمشركين المؤمنين باللات والعزى وقيل : لجميع الخلق لإيمانهم يوم أخذ الميثاق حين قال حين قال لهم سبحانه : أأست بربكم قالوا بلى والكتاب الأول القرآن والمراد من الكتاب الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد : وكتبه والمراد بالإيمان بها الايمان بها فى ضمن الايمان بالكتاب المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى أن الايمان بكل واحد منها مندرج تحت الايمان بذلك الكتاب وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة يجب الأخذ بها الى ورود ما نسخها وأن ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث أنها من أحكام ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ولا تغيير يعتريه .

ومن هنا يعلم أن أمر مؤمنى أهل الكتاب بالايمان بكتابهم بناء على أن الخطاب لهم ليس على معنى الثبات لأن هذا النحو من الايمان غير حاصل لهم وهو المقصود ولا حاجة إلى القول بأن متعلق الأمر حقيقة هو الايمان بما عداه كأنه قيل : آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو نزل وأنزل على البناء للمفعول واستعمال نزل أولا وأنزل ثانيا لأن القرآن نزل مفردا بالاجماع وكان تمامه فى ثلاث وعشرين سنة على الصحيح ولا كذلك غيره من الكتب فتذكر .

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر أى بشيء من ذلك فان الحكم المتعلق بالأمور المتعاطفة بالواو كما قال العلامة الثانى قد يرجع إلى كل واحد وقد يرجع إلى المجموع والتعويل على القرائن وههنا قد دلت القرينة على الأول لأن الايمان بالكل واجب والكل ينتفى بانتفاء البعض ومثل هذا ليس من جعل الواو بمعنى أو فى شيء وجوز بعضهم رجوعه الى المجموع لوصف الضلال بغاية البعد فى قوله تعالى : فقد ضل ضللا بعيدا .

131 .

- ويستفاد منه أن الكفر بأى بعض كان ضلال متصف ببعد والمشهور أن المراد بالضلال البعيد الضلال البعيد عن المقصد بحيث لا يكاد يعود المتصف به الى طريقه ويجوز أن يراد ضللا بعيدا عن الوقوع والجملة الشرطية تذييل للكلام السابق وتأكيد له وزيادة الملائكة

واليوم الآخر فى جانب الكفر على ما ذكره شيخ الاسلام لما أن بالكفر بأحدهما لا يتحقق الايمان أصلا وجمع الكتب والرسل لما أن الكفر بكتاب أو رسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لأنهم وسائط بين الله وبين الرسل فى إنزال الكتب وقيل : اختلاف الترتيب فى الموضوعين من باب التفنن فى الأساليب والزيادة فى الثانى لمجرد المبالغة وقرء بكتابه على إرادة الجنس إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا هم قوم تكرر منهم الارتداد وأصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغي وعن مجاهد وابن زيد أنهم أناس منافقون أظهروا الايمان ثم ارتدوا ثم أظهروا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم وجعلها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عامة لكل منافق فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى البر والبحر وعن الحسن أنهم طائفة من